جامعة محمد بوضياف – المسيلة
كلية الحقوق و العلوم السياسية
قسم العلوم السياسية

عنوان الدرس:

نظريات النزاع

(1) النظريات الجزئية للنزاع

أستاذ الدرس: د. لبنى بهولي
الفئة المستهدفة: طلبة السنة أولى ماستر علاقات دولية، شعبة العلوم السياسية، تخصص علاقات دولية
الحجم الساعي: 01 ساعة و 30 دقيقة في الأسبوع

أهداف المادة:
- الإحاطة بمفهوم النزاع تعريفًا وتصنيفًا، وكذا تمييزًا بينه وبين المصطلحات الأخرى الشبيهة.
- تبيان العوامل المؤثرة في النزاعات الدولية، الداخلية منها والخارجية.
- دراسة الحرب والحرب الأهلية وتبيان الفرق بين أجيال الحروب من حيث الأطراف والاستراتيجيات.
- دراسة وتحليل النزاعات الإثنية مع التركيز على أهم المقاربات النظرية لتفسيرها.
- إبراز مفهوم حل النزاع وتبيان الفرق بينه وبين المفاهيم الأخرى كالتسوية السلمية وإدارة النزاعات..
- شرح أهم الوسائل السياسية والدبلوماسية والقانونية لحل النزاعات الدولية.

ملخص الدرس:
إن استعراض نظريات النزاع سوف يكشف لنا عن وجود عدد من الملاحظات تتمثل في وجود كم هائل من الأدب المكتوب حول طبيعة ونظرية النزاع، خاصة فيما يتعلق بالحرب. إذ نجد مقاربتين نظريتين متضاربتين هما الكلاسيكية والسلوكية. تركز النظرية التقليدية على المستوى الكلي للتحليل، وهي تعنى في المقام الأول بتحليل التفاعل بين المجموعات. وتهتم بالدوافع الواعية المتعلقة بنماذج التفكير واللغة والاتصال التي هي من نتاج المجتمع، في حين تركز السلوكية على المستوى الجزئي، وعلى الفرد كوحدة للتحليل بدل المجموعة، ويميل السلوكيون للتعمق تحت السطح بدراسة الدوافع غير الواعية أو الفطرية أو الغريزية بشكل مطلق.

سنتعرف في هذا الدرس على أهم النظريات الجزئية أو النفسية للنزاع وهي نظرية فطرة العدوان ونظرية الإحباط-العدوان، ونظرية التعلم الاجتماعي.

النظريات الجزئية للنزاع:

النقطة المركزية في التحليل الجزئي لدراسة النزاعات هي العدوان المتمثل في دافع سلوكي يوجه نحو إيقاع الأذى أو الضرر بفرد أو أي شيء آخر. ومن بين أهم المسلمات السلوكية هو الاعتقاد بأن الأسباب الأساسية للحرب تكمن في الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، وأن علاقة مهمة توجد بين النزاع ما بين الأشخاص Interpersonal Conflict والنزاع الذي يسود النظام الاجتماعي الخارجي.

تسعى المدرسة السلوكية إلى تحديد ما إذا كان البشر يملكون الخصائص البيولوجية أو النفسية التي من شأنها أن تجعلهم ميالين للنزاع والعدوان. كما أنها ترمي إلى اكتشاف العلاقة بين الفرد وبيئته.

من بين هذه النظريات: نظرية فطرة أو غريزة العدوان Innatetheory of aggression، نظرية إحباط العدوان Frustration-Agression theory، ونظرية التعلم الاجتماعي Social learning theory.

أ- نظرية فطرة العدوان Innate Theory Of Aggression

اعتبرت هذه النظرية أن العدوان هو نزوع فطري غريزي متجذر في الطبيعة البشرية. فالعنف حسب فرويد -صاحب مدرسة التحليل النفسي- هو " قوة حياتية موجودة بالفطرة في اللاشعور الجماعي الثقافي".

حسب فرويد، فإن الغرائز البشرية تشتمل على فئتين رئيسيتين هما غريزتا الحياة و الموت. الأولى مسئولة عن كل رباط إيجابي مع الآخرين، كما أنها مسئولة عن التعاون والتوحيد والتجمع لتكوين وحدات أكبر. أما الثانية- غريزة الموت - فتسعى إلى التدمير والقتل.

ونزوة الموت تمثل النزوة الأساسية لدى كل كائن حي وهي تتعارض مع نزوات الحياة أو الليبيدو. وتتوجه نزوات الموت Pulsions de mortبادئ الأمر نحو الداخل وتنزع نحو التدمير الذاتي، ثم تتوجه فيما بعد- ثانويا - نحو الخارج، وتتجلى عندها على شكل نزوة العدوان أو التدمير Pulsions de destruction. ويرى فرويد أن الليبيدو يعمل على تحييد نزوة الموت أو التدمير الموجودة في الكائنات الحية، ويتخلص منها بتوجيهها ضد موضوعات العالم الخارجي.

ومنه فإن السلوك العدواني يمثل مخرجا أو منفذا للطاقات التدميرية التي قد تقود في بعض الأحيان إلى الانتحار.

ب- نظرية الإحباط- العدوان: Frustration-Aggression Theory

إن الافتراض الأساسي لنظرية الإحباط-العدوان هو أن كل عدوان- سواء بين الأفراد أو الدولي Interpersonal or international– تعود أسبابه إلى الإحباط الناتج عن عدم تحقيق هدف معين.

ويعرّف جون دولارد John Dollard الإحباط على أنه "اضطراب في السلوك نتيجة عدم تحقيق استجابة من هدف يسعى إليه الفرد".

كما يُعرَّف الإحباط على أنه"حالة انفعالية تظهر حينما تعوق عقبة ما سبيل إشباع رغبة أو حاجة أو توقّع".

ويشرح جون دولارد العلاقة بين الإحباط و العدوان فيقول بأنه "عندما يكون هناك عائق بين الفرد و رغباته، فإن ذلك الفرد يحاول أن يعبئ أكبر قدر من طاقاته، فإذا استمرت التعبئة دون أن يرافقها نجاح فإنها تميل إلى التعبير عن نفسها بسلوك تدميري".

ويعتبر دولارد أن إدراك الحرمان شرط أساسي للعدوان، لأن الحرمان غير المدرك لا يؤدي إلى العدوان. وهو يتفق في ذلك مع بركوويتز الذي يرى أن إدراك الفرد أو الجماعة للإحباط يخلق غضبا شديدا، يتحول فيما بعد إلى دافع العدوانية، فالحروب الأهلية مثلا تنتج عن إدراك الأطراف التي تمارس العدوانية أن هناك تفاوتا غير مقبول بين ما تتمنى أن يكون لها وبين ما هو قائم.

وللإحباط مصادر يمكن تحديدها ضمن ثلاث فئات هي العوائق والنقائص والصراعات. وتشمل العوائق الظروف الطبيعية والأفراد الآخرين والمعايير الاجتماعية.أما النقائص فتتمثل في عناصر كالجفاف

ونقص المصادر الطبيعية ونقائص الشخص نفسه. في حين تنشأ الصراعات عندما تنشط عدة دوافع لدى الإنسان في وقت واحد.

ويرى الأستاذ أسعد النمر، في محاولة منه لشرح مصادر الإحباط، أن الدول التي ترتفع فيها نسبة البطالة(وهي عامل اقتصادي) وتنعدم فيها الديمقراطية(وهي عامل سياسي) ينزع أفرادها إلى ممارسة العنف. وعلى العكس من ذلك، تسمح الديمقراطية -التي تفرض أشكالا من الحوار و الانفتاح الإعلامي- للأفراد بتصريف العدوانية بوسائل مقبولة اجتماعيا مقللة بذلك من شدة الاستجابة العنيفة.

ج- نظرية التعلم الاجتماعي: Social Learning Theory

تختلف المضامين العملية لنظرية التعلم الاجتماعي اختلافا كبيرا عن المضامين التي افترضتها نظريات التحليل النفسي، فالعنف طبقا لهذه النظرية هو سلوك متعلَّم كغيره من أنواع السلوك الأخرى. وتمثل البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الفرد مصدرا مهما لنمذجة العنف. فالفرد يتعلم الاستجابات العنيفة من مشاهدة غيره يمارسها ويحصل على إثابة لدى قيامه بها (التعلم بالمشاهدة)، كما يتعلم الفرد الممارسات العدوانية عندما يؤديها و يحصل على إثابات مجزية (التعلم بالتعزيز).

و تبعا لأصحاب هذا الاتجاه و على رأسهم باندورا فإن الإنسان ينخرط في السلوك العدواني تجاه الآخرين لعدة أسباب هي:

- أنه اكتسب العدوانية من خلال خبراته السابقة.

- أنه استقبل أو توقع أشكالا عديدة من الإثابة للقيام بهذا السلوك.

- أنه تم تحريضه بشكل مباشر للقيام بالسلوك العدواني نتيجة للعديد من الأسباب الاجتماعية أو البيئية الخاصة.

في إشبيليا عام 1986 اجتمع عدد من علماء النفس، اختصاصيون في علم الأعصاب، وعلم الجينات، والأنتروبولوجيا وعلماء السياسة في محاولة منهم لاكتشاف مصادر العدوان الإنساني. وكان الجدال في بيان إشبيليا يدور حول ما إذا كانت جذور الصراع الإنساني توجد داخل الطبيعة Nature أو في التنشئة - البيئة- Nurture.

كانت النتيجة التي خرج بها البيان أنه لا يوجد أي أساس علمي لاعتبار أن الناس فطريا هم حيوانات عدوانية، ترتبط حتميا بالحرب على قاعدة الطبيعة البيولوجية. فالنزاع أو الحرب هي نتيجة للتكيف والتنشئة الاجتماعية Socialisation. والتنشئة الاجتماعية في بيئة تتسم بالعنف تؤثر أيّما تأثير على نمو الأفراد وهي المبشّر بالعدوانية والسلوك المعادي للمجتمع.

لقد وجهت لهذه النظريات العديد من الانتقادات، إذ اعتبر كيلمان أنه من الصعب وجود نظرية نفسية مستقلة للحرب في العلاقات الدولية وإنما يمكن وجود نظرية عامة يساهم في بعض جوانبها علم النفس.

وأشار ويرنر ليفي إلى أن هذه التفسيرات عجزت عن أن تدلنا على كيفية ترجمة هذه العوامل الإنسانية إلى صراع عنيف ينخرط فيه كل المواطنين بغض النظر عن طبيعتهم الفردية ويؤدّون الوظيفة القتالية من خلال عملية معقدة تماما، فكثيرا ما كانت الظروف النفسية للأفراد عوامل تكيّف الحرب أكثر مما تسببها. ورأى أنه لابدّ من التمييز بين الحرب الدفاعية والحرب العدوانية، وأن عدم تفريق التحليلات النفسية بين أنواع الحروب هو أحد جوانب الضعف الرئيسية في التحليل الجزئي.